



أوراق في تاريخ النفط العراقي



غانم العنّاز*: الذكرى التسعون لاكتشاف حقل نفط كركوك العملاق

مقدمة

في خضم الاحداث المتلاحقة التي مرت بمدينة كركوك خلال الاسابيع القليلة الماضية من اجراء الاستفتاء في اقليم كردستان في 25 ايلول الماضي الذي شمل المدينة والاحداث الجسام التي تلتها في الايام القليلة الماضية من شهر تشرين الاول الحالي الذي استطاعت القوات المسلحة العراقية فيها من استرداد مدينة كركوك والسيطرة على حقول النفط القريبة منها، فقد مرت بهدوء ذكرى عزيزة على ابناء الشعب العراقي بصورة عامة وعلى العاملين ومن عملوا في صناعة النفط العملاقة بصورة خاصة، دون ان نسمع عنها الا وهي اكتشاف النفط في العراق.

نقول في خضم هذه الاحداث الجسام مرت الذكرى التسعون لاكتشاف النفط في العراق في حقل كركوك في 14 تشرين الاول/اكتوبر من عام 1927 الذي لعب وما يزال يلعب دورا مهما في تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والحضاري.



أوراق في تاريخ النفط العراقي

لقد كان النفط نعمة من الله عظيمة بنت العراق الحديث عندما وضعت وارداته في ايد عراقية وطنية امينة كما أصبح بعد ذلك نقمة بيد ساسة جهلة وفاسدين نهبوا وارداته العظيمة واتوا بالغزاة الطامعين فيه ليعمَّ الخراب والدمار الذي نشاهده في هذه الايام في جميع انحاء العراق.

الاستعداد لحفر الآبار

لقد كانت شركة النفط التركية (شركة نفط العراق لاحقا) خلال الاشهر الطويلة من المفاوضات في العشرينيات من القرن الماضي منمكة في الاعمال الاستكشافية المكثفة لتحديد المواقع التي سيتم الحفر فيها بعد ان اقامت قاعدة عمل لها في منطقة سليمان بيك بالقرب من مدينة طوز خورماتو القريبة من كركوك. فقد تم خلال تلك الفترة استيراد ابراج الحفر والمعدات والمواد الكثيرة الاخرى اللازمة للمباشرة بأعمال الحفر. كما تم استقدام الخبراء والمهندسين وغيرهم وتعيين الكتبة المهنيين والعمال المحليين وانشاء المكاتب والمخازن واماكن السكن والمطاعم وغيرها من الخدمات الضرورية لهم.

اكتشاف حقل نفط كركوك

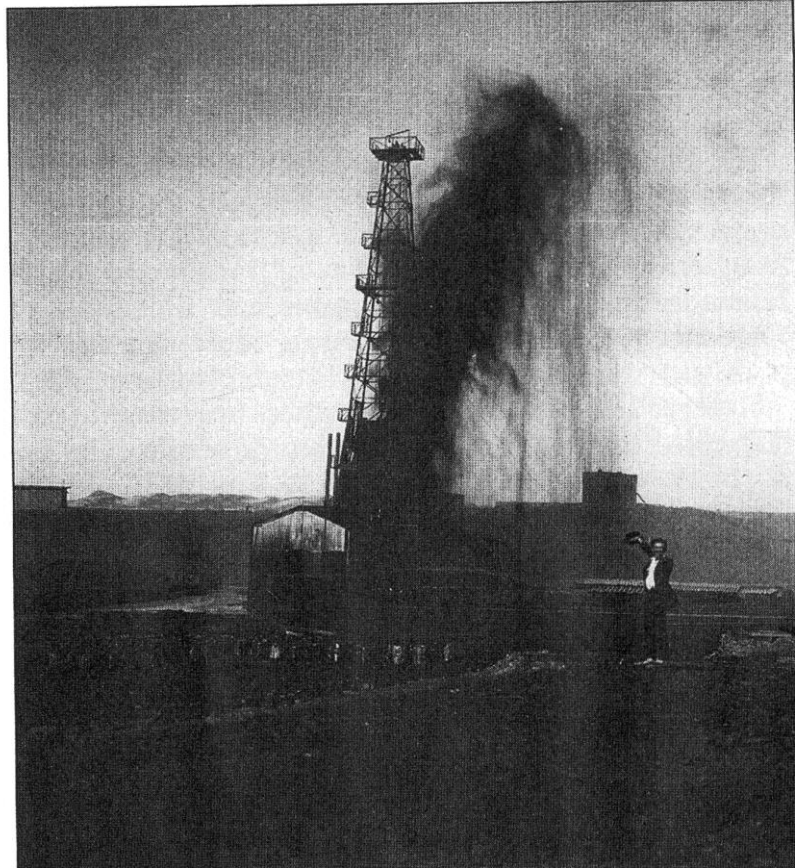
تمّت المباشرة بحفر البئر الاولى في العراق في منطقة بلكانة في 24 نيسان 1927 بحضور الملك فيصل الاول ليتبع ذلك المباشرة بالحفر في اربعة مواقع اخرى قبل ان يباشر بحفر البئر السادسة في منطقة بابا گرگر القريبة من النار الازلية بالقرب من مدينة كركوك في 30 حزيران 1927.

استمر الحفر في بئر كركوك خلال أشهر الصيف والخريف دون توقف ليصل الى عمق 1,521 قدما عندما توقف الحفر لانزال بطانة للبئر بقطر 10.75 عقدة وضخ الاسمنت لتثبيتها في مكانها. استؤنفت اعمال الحفر في منتصف ليلة 14/13 من شهر تشرين الاول/اكتوبر فلم



أوراق في تاريخ النفط العراقي

يمض الا وقت قصير على ذلك الا وبدأ النفط بالتدفق في الفضاء بضوضاء مخيفة الى ارتفاع 140 قدما ليغطي اعلى البرج كما موضح في الصورة ادناه.



انفجار البئر الاولى في حقل كركوك في 14 تشرين الاول 1927

وصف انفجار البئر

لقد وصف الجيولوجي المسؤول عن عملية الحفر وليامسون ما حدث بعد انفجار البئر المفاجئ والهائل كما يلي:

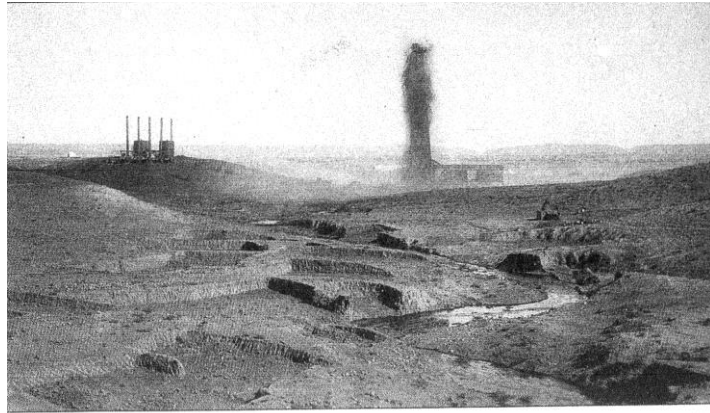


أوراق في تاريخ النفط العراقي

((جرى الحفار بسرعة الى موقع المراجل لإطفاء النار هناك وعند الصباح وجدنا السماء مغطاة بسحابة من الغاز والرذاذ وكان النفط يجري كالنهر في وادي النفط القريب. وفي الساعة الثانية من بعد الظهر وجدنا انبوب الحفر الطويل والثقيل جدا يندفع من البئر منقذفا الى الاعلى خلال برج الحفر بضوضاء رهيبه.

مرت ثلاثة ايام قبل ان يتم غلق الصمام الرئيسي للبئر لنجد الاراضي التي حولنا مشبعة بالنفط بعمق يصل الى عدة عقد وان النسيم الذي يهب حولنا كان مشبع برذاذ النفط كذلك. أخبرنا الرجال الذين قدموا الينا بان زجاجات سياراتهم بدأت تغطي برذاذ النفط على بعد عشرة اميال من موقع البئر. لقد قام أحد المهملين بإشعال ثقابة على بعد نصف ميل من البئر أدت الى نشوب حريق رهيب في المنطقة المجاورة تم اطفاءه بسرعة بتغطيته بالتراب ليتم بعد ذلك تشديد الحراسة باستمرار لتفادي نشوب اي حريق في المستقبل.

لقد تم عمل سدود ترابية في وادي النفط لحصر النفط الجاري فيه ومنعه من التقدم لمسافات بعيدة ولو حدثت امطار في تلك الفترة لجرفت مياهها آلاف الاطنان من ذلك النفط في طريقها الى نهر دجلة لينتج عن ذلك كارثة بيئية رهيبه. نعم لقد كنا محظوظين جدا في تلك البئر))





أوراق في تاريخ النفط العراقي

النفط يجري كالنهر الصغير في وادي النفط في 1927/10/14

اما النفط المتدفق ورذاذه المنتشر في الفضاء والضوضاء الرهيبة التي رافقته فقد احدثت قلقا وخوفا شديدين بين اهالي مدينة كركوك فقد قال أحدهم:

((بالرغم من ان النفط لم يكن غريبا علينا فقد قمنا بجمعه من التسربات في المنطقة منذ آلاف السنين الا ان اندفاعه العنيف والضوضاء الرهيبة التي رافقت ذلك اضافة الى الغازات السامة المنتشرة في الهواء قد جعلت بعض الناس يعتقدون بان ذلك كان عقابا من رب العالمين لكثرة ذنوبهم))

لم يكن بالإمكان غلق الصمام الرئيسي للبئر الا بعد مرور ثلاثة ايام من انفجارها، اي في يوم 17 تشرين الاول، لتتم بذلك السيطرة على تدفق النفط. لقد اثبت الفحوصات في الايام القليلة التي تلت ذلك بان النفط كان يتدفق بمعدل يقدر بحوالي 90,000 برميل باليوم ليغطي المنطقة الواسعة حول البئر بكاملها ويأخذ مجراه الى وادي النفط. هذا وقد تم غلق البئر بعد اكمال الفحوصات اللازمة في يوم 23 من ذلك الشهر بانتظار تطوير الحقل. لقد اثبتت تلك البئر بما لا يقبل الشك العثور على حقل عملاق متميز بكل معنى الكلمة.

هذا ومن الجدير بالذكر ان تلك البئر تقع على مسافة قصيرة لا تزيد عن بضع مئات من الامتار عن موقع النار الازلية الشهيرة التي كان يتسرب اليها الغاز عبر العصور من ذلك الحقل والتي كانت تدور حولها التكهانات والخرافات حتى ذلك الوقت.



أوراق في تاريخ النفط العراقي

اما اخبار الاكتشاف فقد اعتبر حدثا كبيرا تصدّر الصفحات الاولى من الصحف العالمية والمحلية فقد قامت جريدة التلغراف البريطانية بنشر مقالة مطولة من مراسلها في بغداد عن ذلك في يوم الاثنين 18 تشرين الثاني 1927 اقتطفنا منها ما يلي:

((- لقد اكتشفت شركة النفط التركية النفط في العراق. ففي الساعة الثالثة من صباح يوم 14 تشرين الاول وبدون اي سابق انذار تدفق النفط في الهواء بمعدل قدر بحوالي 5,000 طن كل 24 ساعة.

- لقد كانت هناك مؤشرات كثيرة تدل على وجود النفط في العراق فكان على الجيولوجيين الذين ارسلتهم شركة النفط التركية التحقق فيما إذا كان هناك كميات كبيرة منه تستوجب انشاء مصفى له او مد خط انابيب لتصديره الى البحر الابيض المتوسط. لقد أصبح مد خط الانابيب الآن ممكن التحقيق.

- ان هذا الاكتشاف ذو اهمية كبيرة للعراق من الناحية التجارية وبيشر بازدهار باهر للبلاد. فان العراق لن يحصل على اموال الربيع فقط بل على فوائد كثيرة اخرى غير مباشرة. فقد نصت اتفاقية الامتياز على ان تكون هناك نسبة عالية من المستخدمين في اعمال الشركة من العراقيين مما سيخفف من حدة البطالة في البلاد.

- لقد كانت التمور تمثل المادة الرئيسية للصادرات العراقية غير ان هذه التجارة بالرغم من توقع استمرارها بالانتعاش عليها الان ان تقبل في احتلال المركز الثاني بعد النفط.))

اما شركة النفط التركية فقد قامت على إثر اكتشاف حقل كركوك بإيقاف عمليات الحفر في بعض المواقع الاخرى وتحويل بعض ابراج الحفر منها الى حقل كركوك للإسراع في عملية



أوراق في تاريخ النفط العراقي

تقييمه وتطويره. كما انها قامت بالتخطيط لتطوير الحقل بإنشاء الطرق ومحطات ضخ المياه وتوليد الطاقة الكهربائية وبناء المكاتب والدور السكنية وغيرها وشراء المعدات اللازمة لبناء محطات عزل الغاز ومجمع تركيز النفط ومحطات الضخ وخزانات النفط العملاقة ومد خطوط انابيب التصدير وغيرها من المنشآت الحيوية الأخرى.

تطوير وإنتاج حقل كركوك

يتكون الحقل من ثلاث قبب باسم بابا وآفانا وخرمالا حيث يقع مكن النفط الرئيسي على عمق حوالي 700 متر تحت سطح الأرض ويتراوح سمك الطبقة الصخرية الكلسية التي تحتوي على النفط من 100 متراً إلى 350 متراً. كان إنتاج النفط في العشرين سنة الأولى من عمر الحقل يستخرج بصورة تلقائية تحت ضغط المكن نفسه الذي بدأ بالتناقص تدريجياً مما تطلب المحافظة عليه وذلك بحقن الغاز في أول الأمر ومن ثم بحقن الماء. فقد اقيمت لهذا الغرض محطة على نهر الزاب الصغير لتصفية الماء ومن ثم ضخه في المكن بطاقة مليون برميل باليوم لتعويض عن حجم النفط المستخرج والمحافظة على الضغط في المكن. أكمل المشروع في عام 1961 وتمت بذلك السيطرة على استقرار الضغط في المكن.

يعتبر نفط كركوك من النوع الخفيف حيث تبلغ كثافته 36.7 بمقياس معهد النفط الأمريكي ويحتوي على نسبة 1.8% من الكبريت. أما نسبة الغاز المذاب في النفط فتتراوح ما بين 140 و 220 قدم مكعب لكل برميل والتي كانت تحرق في الماضي ولا زالت تحرق في بعض الحقول الأخرى في وقتنا الحاضر مما يشكل هدراً كبيراً لهذه الغازات الثمينة يعتبر الحقل ذو إنتاجية عالية حيث يبلغ معدل إنتاج البئر الواحدة في قبتي بابا وآفانا 30,000 برميل باليوم أما في قبة خرمالا فيتراوح ما بين 3,000 إلى 5,000 برميل باليوم.



أوراق في تاريخ النفط العراقي

بداية تصدير النفط العراقي

أكمل خط انابيب كركوك - طرابلس البالغ طوله 580 ميل (928) كم في 14 تموز 1934 وبوشر بتشغيله بضخ النفط فيه لتصل اول كمية منه الى ميناء طرابلس في نهاية تموز ليتم تصدير الشحنة الاولى منه والبالغة 14,500 طن في 3 آب الى ميناء لاهارف في فرنسا. لقد مثلت هذه الشحنة ظهور النفط العراقي في اسواق النفط العالمية لأول مرة في التاريخ ليستمر تصديره الى هذا اليوم.

اما خط انابيب كركوك - حيفا البالغ طوله 620 ميل (992 كم) فقد أكمل في 14 تشرين اول 1934 وبوشر بتشغيله بضخ النفط فيه لتصل اول كمية منه الى ميناء حيفا ليتم تصدير الشحنة الاولى منه والبالغة 13,000 طن في 27 تشرين اول الى ميناء لاهارف في فرنسا كذلك.

معدلات الانتاج

ارتفعت معدلات الانتاج من الحقل من 80 ألف برميل باليوم في عام 1935 لتصل مليون برميل باليوم في اواخر العقد السادس لترتفع مرة اخرى الى 1.2 مليون برميل باليوم في منتصف العقد السابع لتستمر بالارتفاع تدريجياً لتصل طاقته الانتاجية مع حقلي باي حسن وجمبور الى ما يقارب 1.4 مليون برميل باليوم في اواخر العقد السابع.

مجموع الانتاج والاحتياطي المتبقي

بلغ مجموع ما أنتج من هذا الحقل لغاية 1989 أكثر من 14 مليار برميل بينما يقدر مجموع ما أنتج حتى الان بما يزيد على 15 مليار برميل.

اما الاحتياطي المتبقي فيقدر بحوالي 16 مليار برميل.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في تاريخ النفط العراقي

مستقبل الحقل

يعتبر هذا الحقل العملاق من أقدم الحقول المنتجة في العالم فقد بدأ بالإنتاج في عام 1935 ليستمر خلال الـ 82 سنة الماضية الى يومنا هذا كما يتوقع له ان يستمر بالإنتاج خلال السبعين سنة القادمة ليبلغ من العمر قرناً ونصف القرن من الزمن.

فليبارك الله فيه وليبارك من عمل وسوف يعمل فيه.
والله الموفق.

(* خبير نفطي ومؤلف كتاب العراق صناعة النفط والغاز في القرن العشرين الصادر باللغة الانكليزية في 25 أيار 2012 عن دار نشر جامعة نوتتكهام البريطانية).

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الاشارة الى المصدر.

<http://iraqieconomists.net/ar/>